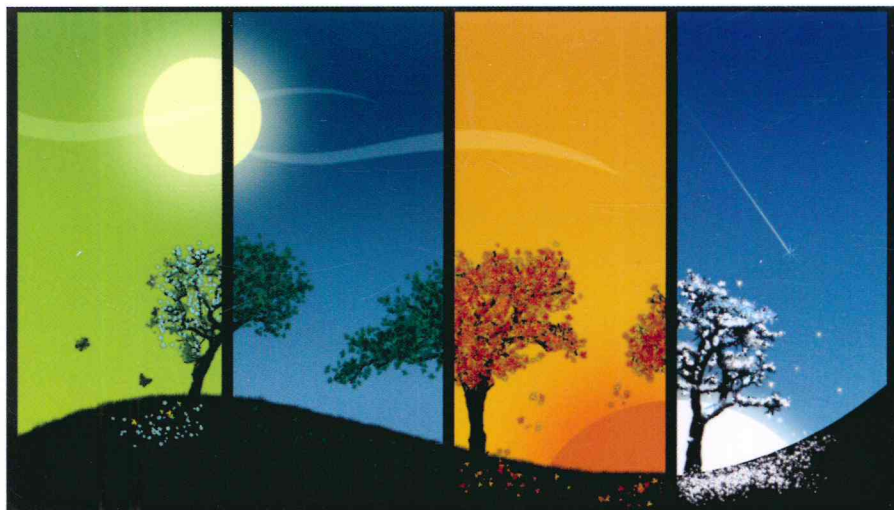


برد الأكباد عند فقد الأولاد

للشيخ الحافظ المحدث

أبي عبدالله محمد بن عبدالله

المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ



قدم له

عبد القادر شيبه الحمد

عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

برد الأكباد عند فقد الأولاد

للشيخ الحافظ المحدث أبي عبدالله محمد بن عبدالله
المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي
المتوفى سنة ٨٤٢هـ

قدم له

عبد القادر بن شيبه الحمد

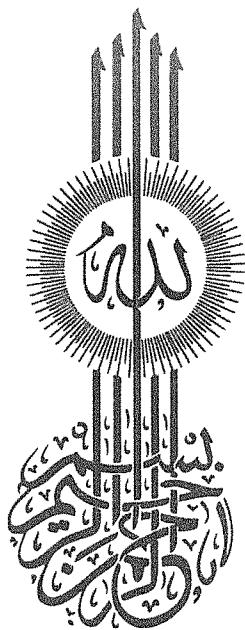
عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية سابقاً
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

(ح) عبدالقادر شيبية الحمد، ١٤٣١هـ
 فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
 دمشق، ابن ناصر الدين
 برد الأكبّاد عند فقد الأولاد. / ابن ناصر الدمشقي.-
 الرياض، ١٤٣١هـ
 ٨٨ص، ١٤×٢١ سم
 رقم: ٧-٦٣٣٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
 ١-الوعظ والإرشاد ٢-التربية الإسلامية أ. العنوان
 ديوي ٢١٣ ١٤٣١/٩٣٧٥
 رقم الإيداع: ١٤٣١/٩٣٧٥
 رقم: ٧-٦٣٣٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

جميع الحقوق محفوظة



تعريف بالكتاب

هذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ، درة فريدة في باب المواساة، والمواساة حق إنساني حضَّ عليه الدين، ورغَّب فيه الإسلام، وهو خلق فاضل، وسجية محمودة. لا سيما إذا كانت المواساة لفقد فلذة من فلذات الأكباد. والتعزية من كتاب الله وسنة رسوله، إذا صدرت من عارف بها، كانت كالغيث أصاب أرضاً جدباء، فإذا هي جنة فيحاء، وبالرغم من حاجة الناس الملحة إلى مثل هذا النوع من التأليف، فإننا لا نعلم كتاباً ألف فيه غير كتابين اثنين باسمين متشابهين، هما كتاب (تبريد حرارة الأكباد، في الصبر على فقد الأولاد) للشيخ الكمال أبي حفص عمر بن أحمد بن العديّة الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠هـ، وثاني الكتابين هو (برد الأكباد عند فقد الأولاد) وهو هذا.

ولعل الكتاب الثاني مستفاد من الأول ومختصر منه، فقد ذكر صاحب كشف الظنون: أنه مختصر، وقد ذكر المؤلف في كتابه: أنه تذكرة لأولى الألباب، وتسلية لكل مؤمن مصاب، تشرح صدره وتجلب صبره، وأنه كتبه على استعجال لغرض اقتضاه الحال، وهو موت ولد أحد السادة المحسنين.

والناظر في هذا الكتاب يعجب لهذا الأسلوب الرائع في التعزية والمواساة، فبينما القارئ يرتع في روضة أينعتها آية قرآنية، إذا به يقدم له درة نفيسة من موعظة نبوية، ثم ينشد له من شعره أو نظم غيره رقيقة شعرية، ولا ينسى أن ينقل في هذا الكتاب قصصاً نقلها الأصمعي وغيره عن بعض الأعراب، هي في باب المواعظ عجيبة غريبة.

لذلك كان هذا الكتاب درة نفيسة، ينبغي أن تنشر وتشاع، ويتنفع الناس بها في سائر البقاع.

فمن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.



ترجمة المؤلف

• نسبه ومولده:

هو حافظ دمشق شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر عبدالله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن علي القيسي الدمشقي، الشهير بابن ناصر الدين. ولد في أواسط محرم سنة سبع وسبعين وسبع مئة بدمشق.

• نشأته وشيوخه:

نشأ بدمشق، وحفظ القرآن العزيز وعدة متون، وسمع الحديث في صغره من الحافظ أبي بكر بن المحب، وتلا بالروايات على ابن البناي، ثم أكبَّ على طلب الحديث ولازم الشيوخ، وسمع من خلق، منهم: بدر الدين بن قوام، ومحمد بن عوض، والعز الأبناسي، وابن غشم المرداوي، والصدر المناوي، ونجم الدين بن العز، وبرهان الدين بن عبدالهادي، وأبو هريرة بن الذهبي، وخلائق يطول ذكرهم.

وأخبر السخاوي أنه قرأ على ابن حجر، وأن ابن حجر قرأ عليه، ومهر في الحديث، وكتب وخرّج، وعرف العلي والنازل، وخرّج لنفسه ولغيره، وصار حافظ الشام بلا منازع.

وقد أخذ العربية: عن ابن البنايسي وغيره.

وقد أخذ الفقه: عن ابن خطيب الدهشة، والسراج البلقيني.

وأجاز له من القاهرة: الحافظ الزين العراقي والسراج ابن الملقن وغيرهما.

وأشتهر اسمه وبُعد صيته، وألّف التأليف الجليلة.

• مؤلفاته:

منها:

- ١- توضيح مشتبه الذهبي في ثلاثة مجلدات كبار.
- ٢- الإعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام، وهو مجرد من الكتاب السابق.
- ٣- بديعة البيان عن موت الأعيان نظماً.
- ٤- التبيان شرح منظومة بديعة البيان.
- ٥- عقود الدرر في علوم الأثر نظماً.
- ٦- الشرح المطول لعقود الدرر.

- ٧- الشرح المختصر لعقود الدرر.
- ٨- السراق من الضعفاء.
- ٩- كشف القناع عن حال من افترى الصحبة والأتباع.
- ١٠- إتحاف السالك برواية الموطأ عن مالك.
- ١١- جامع الآثار عن مولد المختار. ثلاثة أسفار كبار.
- ١٢- مورد الصادي في مولد الهادي.
- ١٣- اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق، وهو مختصر من جامع الآثار.
- ١٤- رسالة في المعراج.
- ١٥- رسالة في الوفاة النبوية.
- ١٦- افتتاح القاري لصحيح البخاري.
- ١٧- تحفة الإخباري بترجمة البخاري.
- ١٨- منهاج السلامة في ميزان القيامة.
- ١٩- التنقيح لحديث التسييح.
- ٢٠- جزء في فضل يوم عرفة.
- ٢١- جزء في فضل يوم عاشوراء.
- ٢٢- برد الأكباد عند موت الأولاد. وهذا هو.
- ٢٣- نفحات الأخيار في مسلسلات الأخبار.
- ٢٤- الأربعون المتباينة الأسانيد والمتون.
- ٢٥- مسند تميم الداري وترجمته.

- ٢٦- عرف العنبر في وصف المنبر.
- ٢٧- الروض الندي في الحوض المحمدي. مجلد. ذكر فيه طرق حديث الحوض من ثمانين طريقاً.
- ٢٨- ربيع الفرع في شرح حديث أم زرع.
- ٢٩- رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة.
- ٣٠- جزء فيه أحاديث ستة عن حفاظ ستة في معان ستة من مشائخ الأئمة الستة، بين مخرجها وبين روايتها ستة.
- ٣١- نيل الأمنية بذكر الخيل النبوية.
- ٣٢- الإملاء الأنفي في ترجمة عسعي.
- ٣٣- إعلام الرواة بأحكام حديث القضاة.
- ٣٤- الأعلام الواضحة في أحكام المصافحة.
- ٣٥- إطفاء حرقة الحوبة بالباس حرقة التوبة.
- ٣٦- مختصر في مناسك الحج.
- وعدة مصنفات أخر.

• وفاته:

توفي بدمشق في ليلة الجمعة سادس عشر من ربيع الآخر

سنة ٨٤٢هـ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العادل فيما قدره وقضاه، القادر القاهر بما أمر به من أمره وأمضاه، فمن رضي بذلك أنعم عليه فأرضاه، ومن سخطه فله السخط ولقد أبعدته وأقصاه، فبؤساً للذين لقضائه يسخطون، وتعساً لمن بأحكامه يتبرمون، وهنيئاً لمن لأفعاله يسلمون، ولحكمه يستسلمون، فهم بكل قضاه راضون؛ وعلى كل حال قائلون: إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.

فنحمد الله على حلو القضاء ومره، ونشكره دائماً على ما أنفذ من أمره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة صابر على مصابه، موقن بما وعد الله على الصبر من جزيل ثوابه، وأوعد على السخط من وبيل عقابه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المأمون، الذي جعل الله ممانته تسلياً لكل مؤمن محزون، وأنزل عليه في كتابه المكنون، وخطابه المأمون ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، صلى الله عليه وعلى آله ذوي الشرف العالي، والفخر المؤيد، وعلى أصحابه أولى المعالي والرأي السديد، وسلم تسليماً كثيراً لا ينقطع ولا يبديد.

أما بعد، فهذه تذكرة لأولي الألباب، وتسلية لكل مؤمن مصاب، تشرح صدره، وتجلب صبره، وتهون خطبه، وتجفف أمره، ويلحظ بها ثوابه على الصبر وأجره. كتبتها على استعجال في أوائل شهر شوال، لغرض اقتضاه الحال، حين بلغني موت ولد بعض السادات المحسنين والإخوان الأعززين الأكرمين، أعظم الله أجره على مصابه، ولا حرمة جزيل ثوابه، وأهله التسليم لأمره، والرضى بالقضاء حلوه ومره، وأخلف عليه من مصابه أحسن الخلف، ولطف به كما لطف بصالح السلف، بمنه وكرمه وأقول:

سبحان من يتلي أناسا

أحبهم والبلاء عطاء

فاصبر لبلوى وكن راضياً

فإن هذا هو الدواء

سلم إلى الله ما قضاه

ويفعل الله ما يشاء

والتعزية سنة سنوية، وخصلة مستحبة مرضية، ولم أجد

تعزية للمصاب أعظم من آيات في الكتاب، يليها أخبار

وأثار ممزوجة بحكايات وأشعار، فلخصت من ذلك ما حضرني معزواً ومخرجاً، ليكون للمشار إليه، ولكل مصاب فرجاً ومخرجاً، ولأشارك المصاب في ثوابه وبره، لما رويناه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عزي مصاباً فله مثل أجره» أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما. وعن عمرو بن حزم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة» انفرد ابن ماجه بإخراجه. وفي الباب عن أبي هريرة وأبي برزة وجابر وغيرهم رضي الله عنهم.

وهذا حين الشروع في المراد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، قيل: يعطون عطاء كثيراً أوسع

من أن يحسب أو يحاط به، والآيات الشريفات في ذكر الصبر
كثيرات.

وأما الأحاديث النبوية في فضل الصبر وثوابه والأمر به
لمن ألمه نزول مصابه، فكثيرة جداً.

منها: حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان،
وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض،
والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن
حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو
موبقها» خرّجه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده،
وابن ماجة في سننه، والنسائي مختصراً في كتابه (عمل اليوم
والليلة)، وهو حديث عظيم الفوائد، جليل الأحكام، وهو
أصل من أصول الإسلام، وفيه الإشارة إلى أن الصابر لا
يزال مستضيئاً بنور الهداية، مستمراً على الصواب، مع ما في
ذلك من حصول الأجر والثواب.

وخرّج مسلم أيضاً من حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس

ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، وكان خيراً له. وإن أصابته ضراء صبر، وكان خيراً له» وعن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أعجبكم، إن المؤمن إذا أصاب خيراً حمد الله وشكر، وإذا أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يؤجر على كل شيء حتى اللقمة يرفعها إلى فيه» خرّجه النسائي. وأقول:

يجري القضاء وفيه الخير نافلة

لمؤمن واثق بالله لا لاهي

إن جاءه فرج أو نابه ترح

في الحالين يقول الحمد لله

قال المبارك بن فضالة العدوي البصري سمعت الحسن يقول: كان أيوب عليه الصلاة والسلام كلما أصابته مصيبة قال: «اللهم أنت أخذت، وأنت أعطيت، مهما تبقي نفسي، أحمدك على حسن بلائك».

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء

خيراً وأوسع من الصبر» وخرّجه أبو داود والترمذي والنسائي.

وخرّج الحاكم أبو عبد الله في مستدرّكه، وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «ما رزق الله عبداً خيراً له ولا أوسع من الصبر»، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم رضي الله عنه يقول: «إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام أني باعث من بعدك أمة، إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم. فقال: يا رب كيف يكون هذا؟ قال أعطيتهم من حلمي وعلمي» خرّجه الإمام أحمد وأبو بكر البزار في مسنديهما والطبراني في معجمه الأوسط والحاكم في مستدرّكه وصححه.

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَمَ البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» خرّجه الترمذي.

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع» خرّجه الإمام أحمد في مسنده.

وقد صح عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: اتقي الله واصبري. فقالت: وما تبالي بمصيبيتي؟ فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك؟ فقال: إنما الصبر عند أول صدمة» خرَّجَاه في الصحيحين. ومعنى إنما الصبر عند أول صدمة، وفي رواية «عند الصدمة الأولى» أن كل ذي مصيبة آخر أمره الصبر، ولكنه إنما يحمد عند حدثها، وفور شدتها؛ لأن مصير ذي الجزع إلى السلوان، ولو أقام على قبر ميتة مدة زمان.

روينا: أن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنه «لما مات ضربت امرأته القبة على قبره سنة، ثم رفعت، فسمعوا صائحاً يقول: الأهل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يأسوا فانقلبوا» علقه البخاري في صحيحه. وفي رواية «لما تسلت وقلعت الخيمة، سمعوا هاتفاً يقول: ولا يرون أحداً أدركوا ما طلبوا. فأجابه: بل يأسوا فانصرفوا».

والأحاديث في ذكر الصبر وفضله كثيرة، اقتصرنا منها على هذه النبذة اليسيرة.

ومعنى الصبر لغة: الحبس، ومداره على أركان ثلاثة؛ إمساك النفس عن التسخط بالقضاء، وحبس اللسان عن القول السيئ والبذيء، وتقييد الجوارح عن المعصية؛ كاللطم وشق الثياب، وتسويد الفنا. فإذا قام الإنسان بهذه الأركان حاز فضيلة الصبر الذي هو نصف الإيمان، وانقلبت محتته منحة عظيمة، واستحالت بليته عطية جسيمة، وصار ما كرهه محبوباً، وللأجور العظيمة حائزاً مصيباً» خرجه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الزهادة في الدنيا: أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك».

وجاء عن علقمة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه «في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾، قال: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم» وعلقه البخاري في صحيحه عن علقمة بنحوه.

وعن أم الدرداء رضي الله عنها أنها كانت تقول: «إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضي لهم رضوا به، لهم في الجنة منازل يغطهم بها الشهداء، يوم القيامة».

وقال أحمد بن أبي الحواري حدثني جعفر بن محمد بن الأبنأ قال: «ذكروا عند رابعة عابداً كان في بني إسرائيل، لا يطعم إلا في كل سنة مرة، ينزل من متعبده، فيأتي مزبلة على باب الملك، فيتقمم من فضول مائده، فقال رجل عندها -أي عند رابعة-: وما على هذا إن كان في هذه المنزلة، إن سأل الله تعالى أن يجعل رزقه من غير هذا؟ فقالت رابعة: يا هذا إن أولياء الله إذا قضي لهم قضاء لم يتسخطوه».

وما ورد من المأثور فيما للمصاب من الأجور أحاديث جملة مصرحة بحصول الثواب والرحمة.

منها: ما أخرجه البخاري وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يصب منه».

وعن أم سلمة رضي الله عنها قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ابتلى الله عبداً ببلاء وهو على طريقة يكرهها، إلا جعل الله ذلك البلاء كفارة وطهوراً، ما لم ينزل ما أصابه بغير الله، أو يدع غير الله في كشفه» أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» خرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي الدنيا. وصححه الترمذي وهو في صحيح أبي حاتم ابن حبان. ولفظه عن سعد قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة» خرجه الترمذي والحاكم. وصححاه.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها».

وعن أنس رضي الله عنه قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة فهزها حتى تساقط ورقها ما شاء الله أن يتساقط، ثم قال: للمصيبات والأوجاع أسرع في ذنوب ابن آدم مني في هذه الشجرة» خرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده وابن أبي الدنيا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال يتليه مما يكره حتى يبلغه إياها» خرجه أبو يعلى أيضاً، ومن طريقه خرجه ابن حبان في صحيحه.

وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما أصاب رجلاً من المسلمين بلية فما فوقها، حتى ذكر الشوكة إلا لإحدى خصلتين، إما ليغفر الله له من الذنوب ذنباً لم يكن ليغفر له إلا بمثل ذلك، أو يبلغ به من الكرامة كرامة لم يكن ليبلغها إلا بمثل ذلك» خرجه أبو بكر ابن أبي الدنيا.

وقال أبو المليح: حدثنا محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده - وكان لجده صحبة - رضي الله عنه «أنه خرج زائراً لرجل من إخوانه فبلغه أنه شاك قبل أن يدخل عليه، فقال:

أنتيك زائراً، وأنتيك عائداً ومبشراً، قال: كيف جمعت هذا؟ قال: خرجت وأنا أريد زيارتك، فبلغني شكايك، فكانت عبادة، وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: «إذا سبقت للعبد من الله عز وجل منزلة لم يبلغها - أو قال - لم يغلبها بعمله ابتلاه الله عز وجل في جسده، أو في ولده، أو في ماله، ثم صبره حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل» خرج أبو موسى المديني في التتمة. وهو في مسند الإمام أحمد وأبي يعلى الموصلي، رحمهما الله. وخرجه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط بنحوه.

والابتلاء في الأولاد من أعظم الابتلاء وأثقل الأنكاد، وهو نار تستعر في الفؤاد، وحرقة تضطرم في الأكباد؛ ولهذا كان ثواب الصبر على ذلك جزيلاً، ويكون أجره في ميزانه يوم القيامة ثقيلاً.

خرج النسائي عن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله ﷺ يقول: «بخ بخ بخمسة ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء فيحتسبه»، وخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه الكبير.

وجاء من حديث ثوبان فيما خرجه البزار في مسنده،
وحسن إسناده. ومن حديث سفينة فيما خرجه الطبراني في
معجمه الأوسط بإسناد جيد لكنه من الأفراد.

وفي الحديث الطويل المروي عن عبدالرحمن بن
سمره رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قوله: «إني رأيت البارحة
عجباً. قال: ورأيت رجلاً من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه
فثقلوا ميزانه» الحديث بطوله.

وقال خلاد بن منصور الواسطي: حدثنا داود بن أبي
هند قال: «رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس
يدعون إلى الحساب، قال: فقربت إلى الميزان فوضعت
حسناتي في كفة وسيئاتي في كفة، فرجحت السيئات على
الحسنات، فبينما أنا كذلك مغموم، إذ أتيت بشيء كالمنديل أو
كالخرقة البيضاء، فوضعت مع حسناتي - يعني فرجحت -
ف قيل له: تدري ما هذا؟ قلت: لا. قال: سقط كان لك.
قلت: فإنه قد ماتت لي صبية ابنة لي. فقيل لي: تيك ليست
لك؛ لأنك كنت تتمنى موتها»، داود بن أبي هند هذا رأى
أنس بن مالك، وكان أحد أعلام الأمة، صائم الدهر، قانتاً
لله، توفي سنة أربعين ومئة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، فتمسه النار إلا تحلة القسم» وخرجه الترمذي والنسائي. قال الترمذي: وفي الباب عن عمر ومعاذ وكعب بن مالك، وعتبة بن عبد، وأم سلمة، وجابر، وأنس وأبي ذر وابن مسعود، وأبي ثعلبة الأشجعي، وابن عباس وعقبة بن عامر، وأبي سعيد، وقرة ابن إياس المزني رضي الله عنه. انتهى.

وخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أنت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بصبي لها، فقالت: يا رسول الله ادع الله له، فلقد دفنت ثلاثة. فقال: دفنت ثلاثة؟ قالت: نعم. قال: لقد احتضرت بحضور شديد من النار» وروينا من حديث علي ابن عياش حدثنا حفص حدثنا عاصم عن أبي رزين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد، إلا كان لهما حائطاً بينهما وبين النار» ومن حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من رجل يموت له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل» وخرجه ابن ماجه والطبراني في معجمه الكبير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهما الله وأبويهما الجنة. قال: يكونون على باب من أبواب الجنة فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يجيء آباؤنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة. فيقولون: حتى يجيء آباؤنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم بفضل رحمة الله».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار «لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحسبهم إلا دخلت الجنة، فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: أو اثنين»، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك به، تعلمنا مما علمك الله. قال: اجتمعن يوم كذا وكذا. فاجتمعن. فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله. ثم قال: ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة، إلا كانوا لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: واثنين» وخرجه النسائي.

وعن أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قدم ثلاثة لم يبلغوا الخنث، كانوا له حصناً حصيناً». قال أبو ذر رضي الله عنه: قدمت اثنين. قال: «واثنين». فقال أبي بن كعب سيد القراء رضي الله عنه، قدمت واحداً؟ قال: «وواحداً، ولكن إنما ذلك عند الصدمة الأولى» خرجه أحمد والترمذي وابن ماجه.

وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة، فقالت عائشة رضي الله عنها: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: ومن كان له فرط يا موفقة. فقالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك، قال: فأنا فرط أمتي، لن يصابوا بمثلي» خرجه الترمذي، وهو في مسند الإمام أحمد، ومعجم الطبراني الكبير.

وخرج ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ضمرة ابن ربيعة، عن رجاء بن جميل الأيلي، رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم

قال: «من مات ولم يقدم فرطاً لم يرد الجنة إلا تصريداً. قيل: يا رسول الله، ما الفرط؟ قال: الولد. أو وله الولد، والأخ يؤاخيهِ في الله عز وجل، فمن لم يكن له فرط. فأنا له فرط» التصريد: السقى دون الترى، ويستعمل في التعليل. يقال: صرد له العطاء إذا أقله.

وروينا عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن السقط ليرغم ربه عز وجل إذا دخل أبواه النار. فيقال: أيها السقط المراغم ربه، أدخل أبويك الجنة، فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة» المراغمة. المغاضبة.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته» انفراد بإخراجه، وإخراج الذي قبله ابن ماجه. وحديث معاذ خرجه أيضاً عبد بن حميد في مسنده مطولاً، ولفظه عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد، إلا أدخل الله والديه الجنة بفضل رحمته إياهم. قالوا: واثنين يا رسول الله؟ قال: واثنين. قالوا: وواحداً يا رسول الله؟ قال: إن السقط ليجر أمه بسرره إلى

الجنة» والسرر: ما تقطعه القابلة من سررة المولود، ويقال: سر أيضاً.

وخرَّج ابن ماجة أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السقط أقدمه بين يدي أحب إلي من فارس أخلفه خلفي» وقال ليث بن أبي سليم عن سعيد عن حميد ابن عبد الرحمن الحميدي - لعله الحميري - «قال: يا رسول الله، مالي من ولدي؟ قال: ما قدمت منهم».

وخرج مسلم عن أبي حسان واسمه مسلم بن عبد الله الأعرج، قال: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه: «إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا. قال: نعم، صغارهم دعاميص الجنة، فيلقى أحدهم أباه - وقال أبويه - فيأخذ بثوبه وقال كما أخذنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى - أو قال ينتهي - حتى يدخله الله وأبويه الجنة»، قال: والد غموص دوية تغوص في الماء. وجاء في رواية «ينغمسون في أنهار الجنة» - يعني يغصون في الأنهار - والغمس: الغوص. فهم يلعبون في أنهار الجنة، وصنفة الثوب - بكسر النون - طرفه، وهي جانبه الذي لا هدب له. ويقال: هي حاشية الثوب أي جانب كان.

وخرَّج الإمام أحمد في مسنده عن معاوية بن قررة عن أبيه رضي الله عنه «أن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال له النبي ﷺ: أتجبه؟ فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، ففقدته النبي ﷺ. قال: ما فعل ابن فلان؟ قالوا: يا رسول الله مات. فقال رسول الله ﷺ: ما تحب أن لا يأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟ فقال رجل: يا رسول الله له خاصة، أو لكلنا؟ قال: بل لكلكم».

وخرجه النسائي وغيره، منهم الطبراني في معجمه ولفظه «كان النبي ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعد بين يديه إلى أن هلك الصبي، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة، يذكر ابنه ويحزن عليه، ففقدته النبي ﷺ فقال: مالي لا أرى فلاناً؟ فقالوا: يا رسول الله، بنيه الذي رأيت هلك فمنعه ذلك من حضور الحلقة. فلقية النبي ﷺ فسأله عنه، فأخبره أنه قد هلك فعزاه عليه، ثم قال: يا فلان أيهما كان أحب إليك، أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتح لك؟ فقال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى

أبواب الجنة فيفتحها لي أحب إلي. قال: فذلك لك، قال: فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، جعلني الله فداك، هذا لفلان خاصة، أو لمن هلك له فرط من المسلمين كان له ذلك؟ قال: بل كل من هلك له فرط من المسلمين كان له ذلك».

وعن حسان بن كريب: أن غلاماً منهم توفي بحمص فوجد عليه أبوه أشد الوجد، فقال له حوشب - صاحب النبي ﷺ - : «ألا أخبرك ما سمعت النبي ﷺ يقول في مثل ابنك: «إن رجلاً من أصحابه كان له ابن قد أدرك، فكان يأتي مع أبيه إلى النبي ﷺ، ثم توفي، فوجد عليه أبوه قريباً من ستة أيام، لا يأتي النبي ﷺ، فقال: مالي لا أرى فلاناً؟ قالوا: يا رسول الله إن ابنه توفي فوجد عليه. فقال له رسول الله ﷺ لما رآه: أتحب لو أن ابنك الآن كأنشط الصبيان وأكيسه. أتحب لو أن ابنك عندنا الآن كهلاً كأفضل الكهول وأسراه. أو يقال لك: ادخل الجنة بثواب ما أخذناه منك» أخرجه أبو نعيم في المعرفة وهو في معجم ابن نافع وغيره.

وجاء عن عبد الله بن بريد عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كنا عند النبي ﷺ إذ بلغه وفاة ابن امرأة من الأنصار، فقام وقمنا. فلما

رأها قال: ما هذا الجزع؟ قالت: يا رسول الله، مالي لا أجزع وأنا رقوب لا يعيش لي ولد؟ فقال لها النبي ﷺ: إنما الرقوب التي يعيش ولدها، أما تحبين أن ترينه على باب الجنة، وهو يدعوك إليها؟ قالت: بلى. قال: كذلك لك في ذلك».

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رجلاً من الأنصار كان له ابن يروح إذا راح إلى النبي ﷺ، فسأله نبي الله ﷺ فقال: أتجبه؟ فقال: نعم يا نبي الله، فأحبك الله كما أحبه. فقال: إن الله تعالى أشد لي حباً منك له. فلم يلبث أن مات ابنه ذاك. فراح إلى النبي ﷺ وقد أقبل عليه ابنه، فقال رسول الله ﷺ: أو ما ترضى أن يكون ابنك مع ابني إبراهيم يلاعبه تحت ظل العرش؟ قال: بلى يا رسول الله» أخرجه الطبراني في معجمه الكبير.

وخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم عليه السلام في الجنة» وفي الحديث الطويل عن سمرة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا النبي ﷺ «أنه أتاني الليلة آتيان وأتتهما ابتعثاني - وفيه فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهراي الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا

حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط» وذكر الحديث وفيه «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة» الحديث خرجه البخاري مطولاً ومسلم والترمذي والنسائي.

وخرج أبو نعيم الأصبهاني من طريق الطبراني بإسناد رواه عن صبيح أبي العلاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المسلمين أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، ثم ينادى فيهم: أن أمضوا إلى الجنة زمراً. فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا؟ فيقول في الرابعة: ووالديكم معكم. فيثب كل طفل إلى أبويه فيأخذون بأيدهم، فيدخلونهم الجنة، فهم أعرف بأبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم في بيوتكم».

وما أحسن ما عزى بعضهم صاحباً له بولده فقال:

فإن كنت تبكيه طلاباً لنفعه

فقد نال جنات الخلود مسارعاً

وإن كنت تبكي أنه فان عوده

عليك بنفع فاسل قد صار شافعا

وخرج الترمذي عن حماد بن سلمة عن أبي سنان - يعني عيسى بن سليمان القسملی - قال: دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني جالس على شفیر القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان؟ قلت: بلى. قال: حدثني الضحاک بن عبدالرحمن بن عزرب عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله عز وجل للملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد».

وخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه. وجاء عن زيد بن أسلم قال: «مات ولد لداود النبي ﷺ، فحزن حزناً شديداً فأوحى الله إليه: ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: يا رب، كان يعدل هذا عندي ملء الأرض ذهباً. قال: فلك عندي يوم القيامة ملء الأرض ثواباً».

وبعض ما أوردناه، وبما روي مما جاء في معناه يتعزى
عن مصابه من وفقه الله وهداه.

ولقد جاء عن جماعة من العلماء والعباد تمنى تقديم
الأولاد؛ لما يعلمون في ذلك للمصاب من جزيل الأجر،
وتضاعف الثواب. قال أبو الأحوص عوف بن مالك
الجشمي: «دخلنا على ابن مسعود رضي الله عنه وعنده بنون له ثلاثة
غلمان كأنهم الدنانير حسناً، فجعلنا نعجب من حسنهم.
فقال لنا: كأنكم تغبطوني بهم. قلنا: أي والله، لمثل هؤلاء
يغبط المرء المسلم، فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير، قد
عشش فيه خطاف وباض. فقال: والذي نفسي بيده؛ لأن
أكون نفضت يدي عن تراب قبورهم، أحب إلي من أن
يسقط عش هذا الخطاف، وينكسر بيضه».

وقال أبو مسلم الخولاني رحمة الله تعالى عليه: لأن يولد
لي مولود يحسن الله نباته، حتى إذا استوى على شبابه، وكان
أعجب ما يكون، قبضه الله مني أحب إلي من أن تكون لي
الدنيا وما فيها.

وروي أن عبدالله بن شوذب البلخي، كان له ابن وقد
قارب الحلم، فأرسل إلى قومه فقال: ادعوا وتؤمنون على

دعائي؟ قالوا: نعم. فدعا الله جل ثناؤه أن يقبض ابنه وليس له غيره. فأمن القوم. ثم قالوا: يا أبا فلان، ما حملك على هذا، وليس لك ولد غيره؟ قال: إني رأيت كأن الناس قد حشروا ليوم القيامة، فأصاب الناس حر شديد، وعطش شديد، فإذا الولدان قد خرجوا من الجنة ومعهم الأباريق، والكؤوس فيها الشراب، فأبصرت ابن أخ لي. فقلت له: يا فلان اسق عمك. قال: يا عم إنا لا نسقي إلا آباءنا وأمهاتنا. قال: فأحببت أن يجعله الله لي فرطاً، قال: فما لبث الغلام أن مات».

وقال محمد بن خلف - المعروف بوكيع - كان لإبراهيم الحربي ابن، وكان له إحدى عشرة سنة، قد حفظ القرآن ولقنه الفقه شيئاً كثيراً. قال: فمات. قال: فجئت أعزيه. فقال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا. قال: قلت: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب، وحفظ القرآن ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم، رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكان صبياناً بأيدهم قلال فيها ماء. يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً حاراً شديداً حره. قال: فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء. فنظر إليّ

وقال: ليس أنت أبي. فقلت: فأيس أنتم؟ قال: فقال: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، وخلصنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء. قال: فلهذا تمنيت موته».

وليقل من أصيب بمصيبة أو نوع من البلاء، ما أمر به من الاسترجاع والدعاء، ومن ذلك ما صحَّح من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبي، واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ثم إني قلتها. فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم» الحديث أخرجه مسلم.

وعن أم سلمة أيضاً رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم عندك أحسب مصيبي، فأجرني فيها وأبدلني بها خيراً منها» أخرجه أبو داود والنسائي في عمل اليوم والليلة.

وخرج ابن ماجة عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها عليه السلام قالت: قال النبي صلى الله عليه وآله: «من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب»، وخرجه الإمام أحمد ولفظه «ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكرها، وإن قدم عهدا فيحدث لذلك استرجاعاً، إلا جدد الله تبارك وتعالى له عند ذلك مثل أجرها يوم أصيب».

وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الضرب على الفخذ يحبط الأجر، والصبر عند الصدمة الأولى، وعظم الأجر على قدر عظم المصيبة، ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله أجرها كيوم أصيب».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نعم العدلان، ونعم العلاوة، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» وعلقه البخاري عن عمر، وهو من رواية سعيد بن المسيب. والعدلان: الصلاة والرحمة. والعلاوة: الهدى.

وروي عن عبدالله بن مطرف بن عبدالله بن الشخير، وقد مات له ولد «والله لو أن الدنيا وما فيها لي، فأخذها الله عز وجل مني، ثم وعد لي عليها شربة من ماء، لرأيتها لتلك الشربة أهلاً، فكيف بالصلاة والرحمة والهدى».

وروي عن ثابت البناني قال: «مات عبدالله بن مطرف، فخرج مطرف على قوم في ثياب حسنة، وقد ادهن فغضبوا وقالوا: يموت عبدالله ثم تخرج في ثياب مثل هذه مدهنًا؟ قال: أستكين لها، وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال، كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا وما فيها كلها، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿فأستكين لها بعد هذا».

وروي عن سعيد بن جبير «ما أعطي أحد ما أعطيت هذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام، ألم تسمع إلى قوله: يا أسفا على يوسف».

وروي عن الحسن البصري رحمه الله تعالى: «أنه جاءه رجل فقال: يا أبا سيعد، إنه كان لي ابن صغير فمات، فإذا رأيت شيئاً مما كان يلعب به جزعت من ذلك جزعاً شديداً. فقد خفت أن يجبط بذلك أجري، قال: لن يجبط الله أجرك، فإذا رأيت شيئاً من ذلك فقل: اللهم اجعله لي أجراً، اللهم اجعله لي فرطاً».

ومما يؤثر من صبر من أصيب بأحبابه وتعزى بحسن العزاء عن مصابه، ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مات ابن لأبي طلحة من أم سلمة، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، قال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك. فوقع بها أنه قد شبع وأصاب منها. قالت: يا أبا طلحة، أرايت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوا؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب وقال: تركتيني حتى تطلخت ثم أخبرتيني بابني مني. فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لكما في غابر ليلتكما.

قال: «فحملت» وذكر الحديث. وفيه «فولدت غلاماً، وفيه أن رسول الله ﷺ مسح وجهه، وسماه عبد الله». خرجاه في الصحيحين. وهذا لفظ مسلم مختصراً.

وفي رواية البخاري قال سفيان بن عيينة «فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهم تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن، يعني من أولاد عبد الله، الذي ولد من جماع تلك الليلة، التي مات فيها الولد المذكور، وهو أبو عمير الذي كان النبي ﷺ يداعبه. ويقول: يا أبا عمير، ما فعل النغير» والحديث المذكور علقه بزيادة في آخره طاهر بن محمد الحداد في كتابه (عيون المجالس) عن معاوية بن قررة بنحوه.

وفي أخرى قال: «فحملت بابن له، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. ثم قال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صبارة بني إسرائيل. فقيل: يا رسول الله. وما كان من خبرها؟ فقال: كان في بني إسرائيل امرأة وكان لها زوج، وكان لها منه غلامان. وكان زوجها أمرها بطعام تصنعه ليدعوا الناس عليه ففعلت. واجتمع الناس في داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كانت في الدار، فكرهت أن

تنغص على زوجها الضيافة، فأدخلتها البيت وسجتها بثوب، فلما فرغوا دخل زوجها فقال: أين ابناي؟ قالت: هما في البيت، وأنها كانت تمسحت بشيء من الطيب وتعرضت بالرجل حتى وقع عليها، ثم قال أين ابناي؟ قالت: هما في البيت، فنادهما أبوهما فخرجا يسعيان. فقالت المرأة: سبحان الله، والله لقد كانا ميتين. ولكن الله تعالى أحياهما ثواباً لصبري» وكان أبو ذر رضي الله عنه لا يعيش له ولد، فقيل له: إنك امرء ما يبقى لك ولد؟ فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء، ويدخرهم في دار البقاء.

ويروي عن المعافي بن عمران عن شهاب بن خراش، عن عبد الرحمن ابن غنم قال: «دخلنا على معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو قاعد عند رأس ابن له وهو يجود بنفسه، فما ملكنا أنفسنا أن ذرفت أعيننا وانتحب بعضنا، فزجره معاذ وقال: مه، فو الله ليعلم الله برضائي بهذا أحب إلي من كل غزوة غزوتها مع رسول الله ﷺ، فإني سمعته يقول: من كان عليه عزيزاً وبه ضنيناً فصبر على مصيبته واحتسبه أبدل الله الميت داراً خيراً من داره، وقراراً خيراً من قراره، وأبدل المصاب الصلاة

والرحمة والمغفرة والرضوان، فما برحنا حتى قضى الغلام حين أخذ المنادي لصلاة الظهر، فرحنا نريد الصلاة فما فجعنا إلا وقد غسله وحنطه وكفنه، وجاء رجل بسريره غير منتظر لشهادة الإخوان ولا لجمع الجيران. فلما بلغنا ذلك تلاحقنا فقلنا: يغفر الله لك يا أبا عبدالرحمن، هلا انتظرتنا حتى نفرغ من صلاتنا؟ ونشهد ابن أخينا، فقال: أمرنا ألا نتظر موتانا ساعة ما توافق ليل أو نهار، والإذن فيهم من نعي الجاهلية، قال: فنزل في القبر ونزل معه آخر. فقلت: الثالث يا أبا عبدالرحمن؟ فقال: إنما يقول الثالث الذي لا يعلمون. فلما سوى عليه التراب أراد الخروج فناولته يدي لأنشطه من القبر، فأبى وقال: ما أدع لك لفضل قوتي، ولكن أكره أن يرى الجاهل أن ذلك مني جزع واسترخاء عند المصيبة». ثم أتى مجلسه فدعى بدهن فادهن، وبكحل فاكتحل، وبردة فلبسها، وأكثر في يومه ذلك من التبسم ينوي به ما ينوي، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، في الله خلق من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودرك من كل ما فات» وذكر الحديث.

وقال نافع مولى بن عمر «اشتكي ابن لعبدالله بن عمر رضي الله عنه، فاشتد وجده عليه، حتى قال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث، فمات الغلام، فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أبدي سروراً. فقيل له في ذلك؛ فقال ابن عمر: إنما كان رحمة فلما وقع أمر الله رضيها به».

وروي عن سفیان الثوري قال: «قال عمر بن عبدالعزيز لابنه عبدالملك وهو مريض: كيف تجدك؟ قال: في الموت، قال له: لأن تكون في ميزاني أحب إلي أن أكون في ميزانك. فقال له: والله يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب. قيل: فلما مات ابنه عبدالملك. قال عمر: يا بني، لقد كنت في الدنيا كما قال الله جل ثناؤه: ﴿أَمْأَلُ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولقد كنت أفضل زينتها. وإني لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات التي هي خير ثواباً وخير أملاً. والله ما سرني أن دعوتك من جانب فأجبتني. ولما دفنه قام على قبره فقال: ما زلت مسروراً بك منذ بشرت بك، وما كنت قط أسر إلي منك اليوم، ثم قال: اللهم اغفر لعبدالملك بن عمر ولمن استغفر له.

وروى ابن المبارك رحمه الله تعالى في الزهد عن عياض ابن عقبة الفهري: «أنه مات ابن له فلما نزل في قبره قال رجل: والله إن كان لسيد لجيش فاحتسبه. فقال: وما يمنعني وقد كان بالأمس من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات».

وروي أن شريحاً القاضي مات له ابن، فجهزه وغسله ودفنه بالليل، ولم يشعر به أحد، وجلس للقضاء من الغد، فجاء الناس على حسب العادة يعودونه ويسألونه عنه. فقال: الآن فقد الأنين والوجع، فظن الناس أنه عوفي، فسروا بذلك فقال: احتسبناه في جنب الله عز وجل، وهو يضحك، فتعجب الناس من ذلك.

ومات ابن لو كيع بن الجراح رحمه الله تعالى فخرج وروى للناس أربعين حديثاً، زيادة على ما كان يروي كل يوم.

وقال أبو علي الرازي رحمه الله عليه: صحبت الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات علي ابنه رحمه الله تعالى. فقال: إن الله سبحانه أحب أمراً فأحببت ما أحب الله.

وروى جعفر السراج من حديث سعيد بن عثمان قال:
دخل ذو النون رحمه الله على مريض يتعوده فرأى المريض يئن،
فقال ذو النون: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضره.
فقال المريض: لا. ولا صادق في حبه من لم يتلذذ بضره.

وقيل لرجل: كم لك ولد؟ قال تسعة. فقيل له: إنما
نعرف لك واحداً؟ فقال: كان لي عشرة فقدمت تسعة، وبقي
لي واحد، فلا أدري أنا له أم هو لي.

وروي عن عبدالرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه
قال: كان بحمي ضرية عجوز من بني بكر بن كلاب،
يتحدث قومها عن عقلها وسدادها، فأخبرني من حضرها
وقدمت ابن لها وكان واحداً، وقد طالت علته وأحسنت
تمريضه. فلما مات قعدت بفنائها وحضرها قومها فأقبلت
على شيخ لهم، فقالت: يا فلان ما حق من ألبس العافية،
وأسبغت عليه النعمة، واعتدلت به الفطرة، أن لا يعجز عن
التوثق لنفسه قبل حل عقدته، والحلول بقفرتة، ينزل الموت
بداره. تعني فيحول بينه وبين نفسه.

ثم أنشدت تقول:

هو ابني وأنسي أجره لي وأعزني

على نفسه رب إليه ولاؤها

فإن أحسب أوجز وإن أبك أكن

كباكية لم يغن شيئاً بكائها

فقال الشيخ: إنما لم نزل نسمع أن الجزع إنما هو للنساء، فلا يجزعن رجل بعدك. ولقد كرم صبرك، وما أشبهت النساء.

فأقبلت عليه بوجهها وقالت: إنه ما ميز أمر بين جزع وصبر، إلا وجد بينهما منهجين بعيدين التفاوت في حالتيهما، أما الصبر فحسب العلانية محمود العاقبة. وأما الجزع: فغير معوض عوضاً مع مآثمه، ولو كانا في صورة رجلين لكان الصبر أَوْلاهما بالغلبة، وبحسن الصورة، وكرم الطبيعة في عاجل الدين وآجله في الثواب. وكفى بها وعد الله عز وجل فيه لمن ألهمه الله إياه.

وقيل لأعرابية مات ابنها فصبرت: ما أحسن عزاءك؟
فقال إن فقدي إياه أمني المصيبة بعد.

وأنشد بعضهم في معناه:

وكنت عليه أحذر الموت وحده

فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

وقال آخر:

ألا فليمت من شاء بعدك إنما

عليك من الأقدار كان حذاريا

وقال معن بن أوس من أبيات:

واعلم أني لم تصبني مصيبة

من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

وقال عبد الملك بن قريب الأصمعي: خرجت أنا

وصديق لي إلى البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن

يمين الطريق فقصدنا نحوها، فسلمنا، فإذا امرأة ترد علينا

السلام. قالت: ما أنتم؟ قلنا: قوم ضالون رأيناكم فأنسنا

بكم. فقالت: يا هؤلاء، ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من

حقكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فألقت إلينا مسحاً. فقالت:

اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني. ثم جعلت ترفع طرف الخيمة

وتردها إلى أن رفعته مرة. فقالت: اسأل الله بركة المقبل.
 أما البعير فبعير ولدي، وراكبه فليس بولدي. قال: فوقف
 الراكب عليها وقال يا أم عقيل. أعظم الله أجرك في عقيل
 ولدك. فقالت: ويحك مات ولدي؟ قال: نعم. قالت: وما
 سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر.
 فقالت: انزل واقض ذمام القوم، ودفعت إليه كبشاً فذبحه
 وأصلحه وقرب إلينا الطعام. فجعلنا نأكل ونتعجب من
 صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا، وقالت: يا قوم هل فيكم
 أحد يحسن من كتاب الله عز وجل شيئاً. قلت: نعم؟ قالت
 فاقرأ علي آيات أتعزى بها عن ولدي.

قلت: يقول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا
 أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
 صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ قالت: الله
 إنها لفي كتاب الله هكذا قلت: والله إنها لفي كتاب الله هكذا.
 فقالت: السلام عليكم. ثم صفت أقدامها وصلت ركعات
 ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله أحسب عقيلاً.

ثم قالت: اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجزي ما وعدتني، ولو بقي أحد لأحد. قال: فقلت في نفسي: تقول لبقي ابني لحاجتي إليه، فقالت: لبقي محمد ﷺ لأمته. فخرجت وأنا أقول: ما رأيت أكمل منها ولا أجزل. ذكرت ابنها بأحسن خصاله وأجل خلاله رحمها الله، ثم لما علمت أن الموت لا مدفع له ولا محيص عنه، وأن الجزع لا يجدي نفعاً، وأن البكاء لا يرد هالكاً، رجعت إلى الصبر الجميل، واحتسبت ابنها عند الله عز وجل ذخيرة نافعة، ليوم الفقر والفاقة.

وقال الأصبغي رحمه الله تعالى أيضاً: رأيت بالبادية إعرابية جالسة على قبر ابن لها تندبه وهي تقول:

قبر عزيز علينا
لو أن من فيه يفدى
أسكنت قرة عيني
ويؤنس النفس لحدا
ما جار خلق علينا
ولا القضاء تعدى

والصبر أحسن شيء

به الكريم تردى

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد أخبرنا عبد الرحمن
عن عمه عن يونس قال: «بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض
الطرق إذا بأعرابي قد أقبل، فقال: يا أعرابي من أين أقبلت؟
فقال: من عند وديعة لي في هذا الجبل. قال: وما وديعتك؟
قال: بني لي دفنته منذ ستين، فأنا في كل يوم أزوره وأندبه،
فقال عمر: سألتك بالله ألا أسمعني بعض ذلك؟ فقال:

يا غائباً ما يؤوب من سفره

عاجله موته من صغره

يا قرة العين كنت لي أنساً في

طول ليبي نعم وفي سحره

ما تقع العين أينما وقعت

في الحي مني على أثره

شربت كأساً أبوك شاربها

لا بد يوماً له على كبره

يشربها والآنام كلهم
من كان في بدوه وفي حضره
فالحمد لله لا شريك له
في علمه كان ذا وفي قدره
وقد قسم الموت في العباد فما
يقدر خلق يزيد في عمره
قال: فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: صدقت يا أعرابي».

وقال أبو العباس أحمد بن مسروق: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثني موسى بن عيسى عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو والأوزاعي: قال: حدثني بعض الحكماء قال: خرجت وأنا أريد الرباط حتى إذا كنت بعريش مصر، إذا أنا بمظلة وفيها رجل وقد ذهب عيناه، واسترسلت يدها ورجلاه وبه أنواع البلاء، وهو يقول: لك الحمد سيدي ومولاي. اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك، كفضلك على سائر خلقك، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً، فقلت: والله لأسئله أعلمه أو ألهمه إلهاماً، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت له: رحمك الله إني

أسألك عن شيء تخبرني به أم لا؟ فقال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به. فقلت: رحمك الله، على أي نعمة تحمده، أم على أي فضيلة من فضائله تشكره؟ فقال: أو ليس ترى ما قد صنع بي؟ فقلت: بلى. فقال: والله لو أن الله تبارك وتعالى صب عليّ ناراً تحرقني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرقنتني، وأمر الأرض فخشفت بي ما ازددت له سبحانه إلا حباً، ولا ازددت إلا شكراً. وإن لي إليك حاجة أفتقضيها لي؟ قلت: نعم قل ما تشاء. فقال: بني لي كان يتعاهدني أوقات صلاتي، ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس، فانظر هل تحسه لي؟ قال: فقلت في نفسي: إن في قضاء حاجته لقربة إلى الله عز وجل. وقمت وخرجت في طلبه حتى إذا صرت بين كئبان الرمال، إذا أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف آتي هذا العبد الصالح بخبر ابنه. قال: فأتيته وسلمت عليه، فردّ عليّ السلام. فقلت: رحمك الله إن سألتك عن شيء تخبرني به؟ فقال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به. قال: قلت: أنت أكرم على الله عز وجل وأقرب منزلة، أم نبي الله أيوب عليه

السلام؟ فقال: بل أيوب عليه الصلاة والسلام أكرم على الله مني وأعظم عند الله منزلة مني، فقلت: ابتلاه الله فصبر حتى استوحش منه من كان يأنس به، وكان غرضاً لمرار الطريق، واعلم أن ابنك الذي أخبرني وسألني أطلبه لك افترسه السبع، فأعظم الله أجرك فيه. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا، ثم شهق شهقة وسقط على وجهه، فجلست ساعة ثم حركته فإذا هو ميت. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. كيف أعمل في أمره، ومن يعينني على غسله وكفنه، وحفر قبره ودفنه، فبينا أنا كذلك إذا أنا بركب يريدون الرباط، فأشرت إليهم فأقبلوا نحوي حتى وقفوا علي، فقالوا: ما أنت وما هذا؟ فأخبرتهم بقصتي، ففعلوا رواحلهم وأعانوني حتى غسسلناه بماء البحر، وكفناه بأثواب كانت معهم، وتقدمت أنا فصليت عليه مع الجماعة فدفناه في مظلمته، وجلست عند قبره أنسأ به أقرأ القرآن إلى أن مضى من الليل ساعات فغفوت غفوة، فرأيت صاحبي في أحسن صورة وأجمل زي، في روضة خضراء عليه ثياب خضر، قائماً يتلو القرآن. فقلت له: ألسنت صاحبي؟ قال:

بلى. قلت: فما الذي صيرك إلى ما أرى. فقال: اعلم أنني وردت مع الصابرين لله عز وجل في درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء. وانتبهت.

هاتان نعمتان عظيمتان: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، من وفق لهما فقد وفق لخير عظيم، ومن قام بهما فقد فاز بثواب جسيم، وحصل له رضى الرب الرحيم. وأقول:

ينال الرضى عبد يقابل نعمة

بشكر ويلقى الصبر في العسر ناصره

ومن رضى الرحمن عنه فإنه

سعيد بفضل الله دنيا وآخره

وتحقيق الصبر على المصيبة بأمور:

منها: النظر إلى أن المصيبة في غير الدين أهون وأيسر عند المؤمنين.

ومنها: أن فوق كل مصيبة ما هو أشد منها، فيتفكر المصاب في مصيبته وما فوقها فيسلوا عنها. قال رجل لسهل

ابن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: دخل اللص بيتي وأخذ متاعي. فقال: اشكر الله تعالى، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد إيمانك ماذا كنت تصنع؟

وروى أن امرأة من العرب مرت بابنين لها، وقد قلتوا، فقالت: الحمد لله رب العالمين. ثم قالت:

وكل بلوى تصيب المرء عافية

ما لم يصب يوماً يلقي الله في النار

ومنها: العلم بأن المصائب كفارات مع أنها يسيرة فانية. وهي تدفع عقوبات الآخرة مع أنها خطيرة باقية.

ومنها: أن ما قدر يكون لا محالة، ومن ابتلي فقد حصل ما قدر عليه وناله وكفى شر ذلك ووباله.

وما أحسن ما روي في معناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه. فقال: ما ابتليت ببلاء إلا وكان الله عز وجل علي فيه أربع نعم؛ إذا لم يكن في ديني، وإذا لم يكن أعظم، وإذا لم أحرم الرضاء به، وإذا أرجو الثواب عليه.

وأنشده سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى:

وثقت نفس عارف فاطمأنت

رضيت بالذي قضى فتهنت

لاح نور الهدى لها مع يقين

فاستضاءت بذاك ثم استكنت

فرمت باللذيد من كل عيش

وإلى أقرب مالك الملك حنت

ومن أسباب السلوى على المصائب، وأقوى الأدوية لفاقد الحبيب، العلم بأن الدنيا فانية وزائلة، ومن سرورها وشرورها آفلة، وهي مخلوقة للذهاب والأفول، وكل ما فيها يتغير ويحول، ويضمحل ويفنى ويزول؛ لأنها إلى الآخرة طريق، وهي مزرعة للآخرة على التحقيق.

روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كان لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ابن يجده به وجداً شديداً فمات الغلام، فحزن عليه حزناً شديداً، وروى ذلك في قضائه ومجلسه، فبعث الله تعالى إليه ملكين في هيئة البشر. فقال: ما أنتما؟ فقالا: خصمان. قال: اجلسا بمجلس الخصوم.

فقال أحدهما إني زرعت زرعاً فأنتى هذا فأفسده. قال سليمان عليه السلام: ما يقول هذا؟ قال: أصلحك الله، إنه زرع في الطريق، وإني مررت به فنظرت يميناً فإذا الزرع، ونظرت شمالاً فإذا الزرع، ونظرت قارعة الطريق فإذا الزرع، فركبت قارعة الطريق. فكان في ذلك فساد زرعه. فقال سليمان عليه السلام: ما حملك على أن تزرع بالطريق، أما علمت أن الطريق سبيل الناس، ولا بد للناس من أن يسلكوا سبيلهم؟ فقال له أحد الملكين: أو ما علمت يا سليمان أن الموت سبيل للناس، ولا بد للناس من أن يسلكوا سبيلهم. قال: فكأنما كشف عن سليمان الغطاء. وهذا من لطيف التعزية لمن حلت به رزية، ومن أعظمها نفعاً وأقواها للجزع رفعاً ما صح من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «أرسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم إليه أن ابناً لي قبض فائتنا، فأرسل يقرأ السلام ويقول: إن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تقعقع. قال: حسبته أنه قال: كأنها شنن. ففاضت عيناه صلى الله عليه وسلم. فقال سعد: يا رسول الله ما

هذا؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، فإنما يرحم الله من عباده الرحماء» خرجه في الصحيحين.

وجاء عن عبدالرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «مات ابن لي فكتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم: من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، سلام الله عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فعظم الله لك الأجر، وأهلمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا من مواهب الله عز وجل الهنية، وعواريه المستودعة، متعك الله به في غبطة وسرور، وقبضه بأجر كثير، إن صبرت واحتسبت لا تجمعن عليك، يا معاذ، إن يحبط جزعك أجرك فتندم على ما فاتك. فلو قدمت على ثوابك مصيبتك، عرفت أن المصيبة قد يصبرن عنه، واعلم أن الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع حزناً فليذهب أسفك، ما هو نازل بك فكان قد. والسلام» وخرجه أبو أحمد العسكري في كتابه (المواعظ) من طرق عن ابن عباس رضي الله عنه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه بنحوه، ورويناه من طريق عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد عن معاذ رضي الله عنه.

وروي: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عزى الأشعث بن قيس بولد له توفي. فقال له: إن تجزع على ابنك فقد تستحق ذلك بالرحم، ولك بيعقوب عليه الصلاة والسلام قدوة، وإن تصبر ففي الله خلف. يا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر، وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور. وأنشد بعضهم:

تعز بحسن الصبر عن كل هالك

ففي الصبر مسلاة السهوم اللوازم

إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبة

سلوت على الأيام سلو البهائم

وليس يذود النفس عن شهواتها

من الناس إلا كل ماضي العزائم

وروي أن أعرابياً من بني كلاب أنشد عمر بن عبدالعزيز

حين مات ابنه عبد الملك فقال:

تعز أمير المؤمنين فإنه

لما قد ترى يغذى الصغير ويولد

هل ابنك إلا من سلالة آدم

لكل على حوض المنية مورد

ومات لأبي الأحوص ابن صغير، فأتاه سفيان وزائدة يعزيانه. فكان فيما لسفيان بعد ما عزاه أن قال: إن الله سبحانه أنعم عليك به - يعني الولد- إن وهبه ما شاء أن يهب، ثم أنعم عليك أن قبضه إليه فكان مذخوراً لك عنده، فلا تعد نعمته عليك مصيبة، فكأنك قد لحقت به، فسرك تقدمه إياك.

وروى الحاكم أبو عبدالله محمد بن إبراهيم المؤذن: سمعت محمد بن عيسى الزاهد يقول: فيما بلغنا أن عبدالرحمن ابن مهدي رحمة الله عليه، مات ابن له فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى امتنع من الطعام والشراب، فبلغ ذلك محمد ابن إدريس الشافعي رحمته الله، فكتب إليه: أما بعد. فعز نفسك بما تعزي به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور مع حرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا على اكتساب زور». وفي غير رواية الحاكم: فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه

وقد بعد عنك، ألهمك الله عند المصائب صبراً، وأجزل لنا
ولك بالصبر أجراً» وفي رواية الحاكم وأقول:

إني معزيك لا أني على ثقة

من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بيباق بعد ميته

ولا المعزى ولو عاش إلى حين

وعزى إسماعيل بن هارون رجلاً عن ابنه فقال: والله
لمصيبة في غيرك لك أجرها، خير من مصيبة فيك لغيرك
ثوابها، وعزى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر، عن
ابن له مات. فقال: أيسدك وهو بلية وفتنة، ويجزئك وهو
صلاة ورحمة - يعني بالأول - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ
وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ وبالثاني قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾.

وقال محمد بن كنانة. كتب رجل إلى أخيه يعزيه بابنه:
أما بعد. فإن الله عز وجل وهب لك موهبة. جعل عليك
رزقه ومؤنته. وأنت تحشى فتنة، فاشتد لذلك، فلما قبض
الله سبحانه موهبته، وكفأك مؤنته، يعني وأمنك فتنته اشتد

لذلك حزنك. أقسم بالله لو كنت تقياً لعزيت على ما هنت عليه، وهنت على ما عزيت عليه، فإذا أتاك كتابي هذا فاصبر نفسك عن الأمر الذي لا غنى بك عن ثوابه.

واعلم: أن مصيبتك وإن عظمت، لم يذهب فرح ثوابها حزنها، فذلك الحزن الدائم، وأنشد بعضهم:

وإذا تصيبك مصيبة فاصبر لها

عظمت بلية مبتلى لا يصبر

وأنشد آخر:

وعوضت أجراً من فقيد فلا يكن

فقيدك لا يأتي وأجرك ذاهب

وكتب محمد بن السماك إلى هارون الرشيد يعزيه بولد له: أما بعد...

فإن استطعت أن يكون شركك لله عز وجل حيث قبضه كشركك له حيث وهبه لك فافعل، فإنه حيث قبضه أحرز لك هبته، ولو بقي لم تسلم من فتنته. أرأيت جزعك على ذهابه، وتلهفك على فراقه، أرضيت الدار لنفسك فترضاها

لابنك، أما هو فقد خلص من الكدر، وبقيت متعلقاً بالخطر.
والسلام.

وكتب ابن السماك أيضاً إلى رجل فقال: إن من تمام
الشكر على العافية الصبر على الرزية. ومن قدم وجد، ومن
آخر فقد.

وروي أن ابناً للشافعي رضي الله عنه مات فأنشأ يقول:

وما الدهر إلا هكذا فاصطر له

رزية مال أو فراق حبيب

وقال محمد بن الحسين بن عياش: حدثني عبدالله بن

صالح. قال: وقف عبدالملك على قبر ابنه فقال:

وما الدهر والأيام إلا كما أرى

رزية مال وفراق حبيب

وإن امرءاً قد جرب الدهر لم يخف

تقلب عصره لغير لبيب

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء: حدثني
الحسين بن عبدالرحمن أن رجلاً من قريش، قال في ابن له:

بني إن عدمتك في حياتي
فلن أعدمك ذخراً في المعاد
وكنت حشاشتي وجلاء همي
وإلفي والمفرج عن فؤادي

قال: وقال أبو يعقوب الخزيمي يرثي ابناً له في قصيدة:

فلولا رجاء الأجر فيك وإنه
ثواب وإن عز المصاب عظيم
وإنك قربان لدى الله نافع
وخط لنا يوم الحساب جسيم
لأضعف حزني يا بني وأوشكت
على البواكي بالرنين تقوم

وأنشد بعضهم:

وما يغني التأوه إذ تولى
وهل ما فات مرتجع

فإقراراً وتسليماً وصبراً على

ما كان من قدر الإله

وفي الابتلاء فوائد سنية، وحكم ربانية، منها ما ظهر بالاستقراء، وعلم بعض ما فيه من النعماء، ومنها ما لم يظهر لكن ادخر الله به فضلاً غزيراً. قال الله عز وجل: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وروى الإمام أحمد في الزهد، من مراسيل الحسن «أن النبي ﷺ قال: والله لا يعذب الله حبيبه، ولكن قد يبليه في الدنيا».

وأقول:

إذا اشتدت البلوى تخفف بالرضا

عن الله قد فاز الرضيُّ المراقب

وكم نعمة مقرونة ببليّة

على الناس تخفى والبلايا مواهب

ومن فوائد الابتلاء: النظر إلى قهر الربوبية، والرجوع إلى ذل العبودية، فإنه ليس لأحد مفر عن أمر الله وقضائه،

ولا محيد له عن حكمه النافذ وابتلائه، إنا لله ملكه وعبده، يتصرف فينا كما يشاءه وما يريد، وإنا إليه راجعون في جميع أمورنا، وإليه المصير يجمعنا لنشورنا.

ومنها حصول الإخلاص في الدعاء، وصدق الإنابة إلى الله والالتجاء وشدة التضرع لمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾.

قال بعض السلف: سنة الله استدعاء عباده لعبادته، بسعة الأرزاق ودوام المعافاة؛ ليرجعوا إليه سبحانه بنعمته، فإذا لم يفعلوا ابتلاهم بالبأساء والضراء، لعلهم إليه يرجعون.

ومن فوائد الابتلاء: تمحيص الذنوب والسيئات، وبلوغ الدرجات العلية في الجنات، وأعلام ذلك كله، حصول رضى الله العظيم. الذي هو أفضل من الجنة ونعيمها المقيم.

ومنها: معرفة قدر العافية لمن غفل عن إحصاء ذلك وعده؛ لأن الشيء لا يعرف إلا بضده، فيحصل بذلك

الشكر الموجب للمزيد من النعم؛ لأن ما وسع الله بالعافية وأنعم، أكثر وأعظم مما ابتلى وأسقم.

روي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يقال له: معاذ الكبير، أصابته مصيبة، فجزع منها وأمر بإحضار النائحات، وكسر الأواني؛ فسمعه حاتم فذهب إلى تعزيتته مع تلامذته، وأمر تلميذاً له؛ فقال: إذا جلست فاسألني عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ فسأله، فقال حاتم: ليس هذا موضع السؤال. فسأله ثانياً. وثالثاً. فقال: معناه أن الإنسان لكفور، عداد للمصائب، نساء للنعم، مثل معاذ هذا، إن الله تبارك وتعالى متعه بالنعم خمسين سنة، فلم يجمع الناس عليها شاكراً لله عز وجل، فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى، فقال معاذ: بلى إن معاذاً لكنود عداد للمصائب نساء للنعم. فأمر بإخراج النائحات وتاب عن ذلك.

ومنها حصول رحمة أهل البلاء الموجبة لرحمة الله وجزيل العطاء «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

ومنها: الدخول في زمرة المحبوبين، المشرفين بمحبة رب العالمين، فهو سبحانه إذا أحب قوماً ابتلاهم.

ومنها تيقظ المبتلى من غفلته، وطيب نفسه ببره وإخراج صدقته، روينا عن إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب. قال: اعتل الفضل بن سهل ذو الرياستين علة بخراسان فهنوه بالعافية، وتصرفوا في الكلام، فلما فرغوا أقبل على الناس. فقال: إن في العلل لنعماً ينبغي للعقلاء أن يعرفوها؛ تمحيص للذنوب، وتعرض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وإذكار للنعمة في حال الصحة، واستدعاء للتوبة، وحض على الصدقة، وفي قضاء الله تعالى بعد الخيار. قال: فبني الناس ما تكلموا به وانصرفوا بكلام الفضل.

ومن فوائد الابتلاء: بقت الدنيا لأنكادها. وبعث النفس على العمل ليوم معادها، فإنه إذا تفكر في ذهاب أحبابه علم أنهم شربوا بكأس لا بد له من شربه. قال محمد بن الحسين: دخلت على محمد بن مقاتل فقلت له: عظمي. فقال: اعمل فإن مت لم تعد أبداً. وانظر إلى الذاهبين هل عادوا.

تذهب أيامنا على لعب

منا بها والذنوب تزداد

أين أحبابنا وبهجتهم

بطيب أيام عيشهم بادوا

ومن فوائد الابتلاء: منع صاحب البلية من خصال غير مرضية، كالخيلاء والكبر، والأشر والبطر، والتجبر، فكم من مبتل بفقد العافية. حصلت له توبة خالصة شافية، وكم من مبتل بنفاد ماله، انقطع إلى الله تعالى بحسن حاله، وكم من مصاب بفقد الأولاد، صبر على الحكم النافذ على العباد، فحصلت له من الله الصلوات والرحمة والهداية للرشاد. وبتحقيق ذلك يحصل الفرح الشرعي بالمصيبة وما يداينها، لا الفرح الطبيعي، فإن الكراهة بالطبع لاشك فيها، ولا يلام المصاب على حزن قلبه ودموع عينيه، وإنما النياحة ونحوها، من القول والفعل تحرم عليه.

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «رضى القلب والعين من الله عز وجل، ورضى اليد واللسان من الشيطان» وضح عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال: أربع في أمتي لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب» خرجه مسلم.

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أيما نائحة ماتت قبل أن تتوب ألبسها الله سربالاً من قطران، وأقامها للناس يوم القيامة».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النائحة - يعني تخرج من قبرها شعثناء غبراء، عليها درع من جرب وجلباب من لعنة، واضعة يدها على رأسها تقول: واويلاه. وملك يقول: آمين آمين. ثم يكون حظها من ذلك النار».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن هؤلاء النوائح يوم القيامة صنفان في جهنم: صف عن يمينهم وصف عن يسارهم. ينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب».

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة» وصح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «اشتكى سعد بن عبادة شكواً له، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فلما دخل

عليه فوجده في غاشية، فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: ألا تسعمون أن الله عز وجل لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «دخلنا مع رسول الله ﷺ^(١) فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذر فان. فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى. فقال ﷺ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

(١) بياض بالأصل. وقد جاء في صحيح البخاري في كتاب الجنائز: «وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظنراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذر فان، فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

وجاء عن سلمه بن محارب قال «وضع إبراهيم بن النبي ﷺ في حجر النبي ﷺ، وهو يوجد بنفسه، فقال ﷺ: لولا إنه موعده صادق، ووعد جامع، وإن الماضي فرط الباقي، وإن الآخر لاحق بالأول، لحزنا عليك يا إبراهيم. ودمعت عيناه. فقال ﷺ: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب عز وجل، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون».

وروى الزبير بن بكار، من طريق عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب: «أن إبراهيم ابن النبي ﷺ توفي فخرج به، وخرج النبي ﷺ يمشي أمام سريره، ثم جلس على قبره، ثم دُلي في قبره، فلما رآه رسول الله ﷺ قد وُضع في قبره دمعت عيناه. فلما رأى أصحابه ذلك، بكوا حتى ارتفعت أصواتهم. فأقبل عليه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: يا رسول الله؛ تبكي وأنت تنهى عن البكاء؟ فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر، تدمع العين، ويوجع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب».

وروي أن سليمان بن عبد الملك، لما مات ابنه أيوب قال لعمر بن عبدالعزيز، ورجاء بن حيوة «إني لأجد في كبدي جمة لا يطفئها إلا عبرة. فقال عمر: اذكر الله يا أمير المؤمنين،

وعليك بالصبر، فنظر إلى رجاء كالمستريح إلى مشورته، فقال رجاء: اقضها يا أمير المؤمنين، فما بذاك من بأس، فقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم وقال: العين تدمع والقلب يوجع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون. قال: فأرسل سليمان عينيه فبكى حتى قضى إرباً. ثم أقبل عليهما فقال: لو لم أنزف هذه العبرة لانصدت كبدي، ثم لم يبك بعدها. فلما دفن ابنه أيوب وحشى على قبره التراب، قال: يا غلام دابتي، ثم التفت إلى قبره فقال:

وقفت على قبر مقيم بغفرة

متاع قليل من حبيب مفارق

وجاء أن إنساناً علويّاً من طبرستان مات ابنه، فحضر الناس ليعزوه، فلم يخرج إليهم في اليوم الأول، ولا الثاني، ولا الثالث. ثم خرج إليه بعد ذلك فقال: ليس الموت بولدي ابتدى، ولا عليه اعتدى، ولا إليه انتهى، ولكنني أتفكر في طول حسراته في الغربة علينا، وطول حسراتنا على غربته ووحدته. وبكى ساعة وأنشد:

واحسرتا للغريب في البلد

النازح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا

بالعيش من بعده ولا انتفعا

هذا فؤادي لقد ملئ أسفاً

قطعه الشوق والنوى قطعاً

يقول في نأيه وغربته

عدلاً من الله كل ما صنعا

وروى أن بعضهم وقف على قبر يندب صاحبه في جماعة

يبكون معه، فقال:

يا موت ما أمساك من نازل

تنزل بالمرء على رغمه

تخطف العذراء من خدرها

وتأخذ الواحد من أمه

لا صالحاً تبقي ولا طالحاً

إلا تؤديه إلى ردمه

حكم عزيز عالم قادر

سبحانه ما جار في حكمه

وروى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في تاريخه عن سعيد

ابن المسيب رحمه الله تعالى قال: «دخلنا مقابر المدينة مع

علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فقام على قبر فاطمة عليها السلام.
وانصرف الناس فقال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة

وإن بقائي بعدكم لقليل

وإن افتقادي واحداً بعد واحد

دليل على أن لا يدوم خليل

أرى علل الدنيا علي كثيرة

وصاحبها حتى الممات عليل

وروى أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن النحاس، من

طريق محمد بن سليمان قال: قال العتبي: «لما دفنت فاطمة

بنت النبي صلى الله عليه وآله، دفنها علي رضي الله عنه، ورجع وهو يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة

وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي واحداً بعد واحد

دليل على أن لا يدوم خليل

وقال العتبي: وتمثل بيت العطنش الطبي:

أقول وقد فاضت دموعي غزيرة

أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

أخلاي لو غير الممات أصابكم

جزعت، ولكن ما على الموت معتب

وما يروى من بكاء السلف عند الفراق، وتمثلهن بالأشعار عند غلبة الأشواق كثيرة جداً. وأحسن ما روي من ذلك منقولاً، وأجوده بكاء وأصدقه قيلاً، وأجمله رثاء وأعدله تمثيلاً، ما روي عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي رضي الله عنه قال: «لما رش قبر رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة عليها السلام فأخذت قبضة من تراب القبر، فوضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد

أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها

صبت على الأيام عدن لياليا

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى في كتاب
الشريعة: بلغني أنه لما دفن النبي ﷺ جاءت فاطمة عليها
السلام، فوقفت على قبره، وأنشأت تقول:

أمسى بخدي للدموع رسوم
أسفاً عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحسن في المواطن كلها
إلا عليك فإنه معدوم
لا عتب في حزني عليك لو أنه
كان البكاء لمقلتي يدوم

ولقد أذكرني هذا الكلام المنظم المشار فيه إلى المصاب
والأجل الأعظم، موت سيدنا رسول الله ﷺ وشرف وكرم
أبياتاً قلتها قديماً في معناه، نجعلها ختاماً لما قدمناه وهي:

ما الأمر في ذي الدار إلا منام
كل سيدري حين يأتي الحمام
يقول ياليت وأنى له
والموت قد أطلق فيه السهام

يود لو أمهله لحظة
 يتوب فيها عن ركوب الحرام
 أنى له التوب وقد حشرجت
 في الصدر منه النفس للاصطلام
 يا نائمين انتبهوا طالما غر الأ
 ولى الماضين طول المقام
 بينا هموا في غفلة إذ أتى
 ما كفهم عن فعلهم والكلام
 وأسكنوا في حضرة أذهبت
 لحومهم لم تبق غير العظام
 بل أسحقت تلك العظام التي
 وجوههم كانت تنير الظلام
 يا حسن ما كنا جميعاً فمذ
 ترحلوا عنا أقام الغرام
 كلما مر حديث لهم تضا
 عف الشوق وزاد الهيام
 لله هذا الموت لم يبق ذا
 تقوى لتقواه ولا ذا اجترام

ولو يحاشي أحداً في الورى
 حاشى نبي الله ذا الاحترام
 لكنه أنهله كأسه وهو
 حبيب الله خير الأنام
 فهاجت الأرض بمن فوقها
 لموته وانهل صوب الغمام
 وكل عين أنزفت دمعها
 وأهون الدمع عليه انسجام
 وأصبح المسجد من فقدته
 يبكي كذاك البيت ثم المقام
 بل كل الأرض عمها فقدته
 وقد علاها بعد نور تنام
 ولم يجد خلق كأصحابه
 إذ أودعوه تحت تلك السلام
 وانصرفوا عنه وكل له
 حزن وهم لا يطيق الكلام
 لله موت المصطفى إنه
 رزء عظيم لا يضاهي العظام

فموت الخطب الجليل الذي
هان به رزء الجياد الكرام
لكنه حي وفي روضة الوسـ
يلة العظمي بأعلى المقام
عليه صلى الله من فضله
وساق تسليماً إليه دوام
ثم على الآل وأصحابه
والتابعين الأطيبين السلام

آخر (برد الأكبادة عن فقد الأولاد) والحمد لله رب
العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. تم بقلم الفقير إلى ربه
البصير عبدالله الصالح الحسين، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
وإخوانه إلى يوم الدين. حرر في ٨ رجب سنة ١٣٦١هـ.

فَضْلٌ

من علم أن الدنيا دار ممر، وأن الآخرة هي دار المقر،
و دار كدر لا صفو فيها للبشر، إن أعطت قليلاً سلبت
كثيراً، فكيف يأسى على مفقوده، أو يفرح بموجودة، طبعت
على كدر، وأنت تريدها صفواً من الأكدار والأقذار، إن
أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن أسرت يوماً أساءت
دهراً، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً، ممزوجة بالنعص،
مشوبة بالغصص.

قال إبراهيم الحربي: اتفق العقلاء من كل أمة أن من
يمش مع القدر لم يتهن بالعيش.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن لكل فرحة ترحه، وما ملئ
بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً.

وقال ابن سيرين: ما كان ضحك إلا كان بعده بكاء.

وفي الترمذي مرفوعاً: «يود ناس يوم القيامة أن جلودهم
كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا، لما يرون من ثواب أهل
البلاء».

وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس، فسبحان من ينعم بالبلاء، ويبتلي بالنعماء، قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت، ويبتلي الله بعض القوم بالنعمة.

وعلى المصاب العاقل: أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وما أرسل إليه البلاء ليهلكه ولا يعذبه، وإنما أصابه ليمتحن صبره وإيمانه، ويسمع تضرعه وابتهاله.

ما قد قضى يا نفس فاصطبري له

ولك الأمان من الذي لم يقدر

ولتعلمي أن المقدر كائن

يجري عليك عذرت أو لم تعذري

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

اعلم أن من علم أن ما قد قضى لا بد أن يصيبه، قل حزنه وفرحه، فهن المنيا أي واد سلكته، عليها القديقي أو على طريقها.

قال ابن الجوزي: من يعلم حقائق الأشياء رأى الأسا عاماً والأغراض منعكسة، وعلى هذا وضع هذه الدار، فمن طلب نيل غرضه من هذه الدار، فقد رام ما لم توضع له. بل ينبغي أن يوطن نفسه على المكروه. فإن جاءت راحة عدها عجباً:

ومن يرجو من الدنيا بقاء

كمن يرجو شراباً من سراب

قال وهب بن منبه رحمه الله: لا يكون الرجل فقيهاً كامل الفقه، حتى يعد البلاء نعمة، ويعد الرخاء مصيبة.

وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الجنة، ولا يعطيه الله إلا لعبد كريم.

ومات لبعض السلف ابن نفيس. فقال لأمه: اتقي الله واحتسبيه واصبري، فقالت: مصيبتى أعظم من أن أفسدها بالجزع. وقال سليمان بن القاسم: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر. وقال عمر بن عبدالعزيز ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضة مكانها الصبر، إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه. فاصبر ففي الغيب ما يغنيك عن حيل، وكل

صعب إذا صابرت هانا، ومن تيقن أنه صائر إلى مولاه الحق،
وأنه لا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، وأنه يجيء ربه فرداً
كما خلقه أول مرة، بلا ولد ولا مال، ولا أهل ولا عشيرة،
ولكن بالحسنات أو السيئات، فكيف يطمئن إلى الدنيا
ويطمع بالبقاء فيها؟ ومن علم علماً جازماً أن ما أصابه لم
يكن ليخطئه، وما أخطأه لمن يكن ليصيبه؛ فعليه أن يسلم
أمره إلى الله، وأن يسارع على الصبر على مرّ بلاه، فإنه سبحانه
جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً غالباً لا
يهزم، وحصناً حصيناً لا يهدم ولا يثلم.

صبرت فكان الصبر خير مغبة

وهل جزع يجدي علي فأجزع

ملكتم دموع العين حتى رددتها

إلى ناظري، فالعين في القلب تدمع

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وجدنا خير
عشنا بالصبر» وفي لفظ عنه: «أفضل عيش أدركناه بالصبر،
ولو أن الصبر من الرجال كان كريماً»، وعن علي رضي الله عنه: «الصبر

مطية لا تكبو» وقال أيضاً: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له».

وقال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال: كالماء المنهمر.

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال: في غير جزع.

قال عمرو بن قيس: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ هو الرضى بالمصيبة والتسليم.

وقال جمع من المفسرين: أي لا شكوى معه:

لئن كان بدا الصبر مرأً مذاقه

فقد يجتني من غبه الثمر الحلو

قال ابن عقيل: تهون المصيبة بالنظر إلى جلال من صدرت منه وحكمته وملكه.

قال شقيق البلخي رحمه الله: من شكى مصيبة نزلت به إلى غير الله تعالى لم يجد في قلبه حلاوة لطاعة الله أبداً.

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قال: كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيراً.

وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ما أبالي إذا رجعت إلى أهلي على أي حال، أراهم بسراء أم بضراء، وما أصبحت على حال فتمنيت أني على سواها».

أيا فرقة الأحباب لا بد لي منك

ويا دار دنيا إنني راحل عنك

ويا قصر الآمال مالي وللمنى

ويا سكرات الموت مالي وللضحك

ومالي لا أبكي لنفسى بعبرة

إذا كنت لا أبكي لنفسى فمن أبكي

فإذا علم العاقل أن الجزع لا يرد الفاتت، ولكنه يسر الشامت، وأنه قادح في الصبر، منقص للأجر، فالواجب علينا الرضا والتسليم للإله المدبر الكريم.

أمور القضا تمضي يقيناً بلا مرا

على ذي الورى حتما فطوبى لصابر

فبعداً لمن يبغى خلاف الذي قضى
 ولم يرض بالمقدور تباً لخاسر
 فكن راضياً بالله رباً مدبراً
 وسلم مقاليد الأمور لقادر
 وكن صابراً واطلب رضى الله جاهداً
 تنل وعده يوم اللقاء والتفاخر
 ثكلنا به طراً فإننا لربنا
 وعمنا قليل راجعون لقاهر
 رضينا بتدبير الإله وعدله
 فسلم أخى وكن خير صابر
 فبشراك يوم الفوز بالربح والهنا
 فطوبى لمن يرضى بتدبير قادر
 ستلقاه يوم الحشر أحوج ما تكن
 فأبشر وسر تلحق بجمل المتاجر

على العمل المشروع لله مخلصاً
 حنيفاً سليماً مستقماً السرائر
 ودم سالماً فالله يبرعك وحده
 من الشر والأسقام مع كل ضائر

والحمد لله أولاً وآخراً. وظاهراً وباطناً، وصلى الله على
 سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم. بقلم الفقير عبد الله
 الصالح الحسين، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه،
 رجب سنة ١٣٦١ هـ.



برد الأكباد عند فقد الأولاد

لتفسير آيات القرآن
أبي عبد الله محمد بن عبدالله

المؤلف: ابن تيمية الدين أبو العباس الجوامع سنة 727 هـ



قدم له

عبد القادر شيبه الحمد

مركز دار الحديث في الكويت - الكويت
الطبعة الأولى: 2007م - الطبعة الثانية: 2008م

هذا الكتاب الذي بين يديك - أيها القارئ الكريم -
درة فريدة في باب المواساة، والمواساة حق إنساني
حُضَّ عليه الدين، ورَغِب فيه الإسلام، وهو خلق
فاضل، وسجية محمودة؛ لا سيما إذا كانت المواساة
لفقد فلذة من فلذات الأكباد.

والناظر في هذا الكتاب يعجب لهذا الأسلوب
الرائع في التعزية والمواساة، فبينما القارئ يرتع في
روضة أينعتها آية قرآنية، إذا به يقدم له درة نفيسة
من موعظة نبوية، ثم ينشد له من شعره أو نظم
غيره رقيقة شعرية، ولا ينسى أن ينقل في هذا
الكتاب قصصاً نقلها الأصمعي وغيره عن بعض
الأعراب، هي في باب المواعظ عجيبة غريبة.

لذلك كان هذا الكتاب درة نفيسة، ينبغي أن
تتشر وتشتاع، وينتفع الناس بها في سائر البقاع.

فمن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من
كرب يوم القيامة.

عبد القادر شيبه الحمد

ISBN:978-603-006-330-7



موضوع الكتاب: الوعظ والإرشاد

9 786030 063307

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة
www.alukah.net